مِنَ الظلماتِ

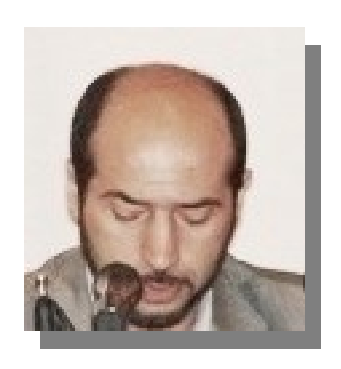
إلى النُور

مجمُوعة قصائد وجدانيّة

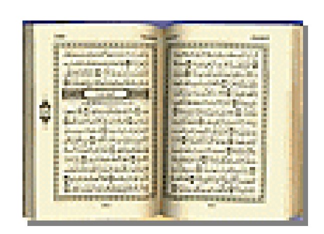
د. أيمَن أحمَد رؤوف القادري

من الظلمات... إلى النور
مجموعة قصائد وجدانية

د.أيمن أحمد رؤوف القادري



أعوذ باللّه من الشّيطان الرّجيم



اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا

يُخْرِجُهُم

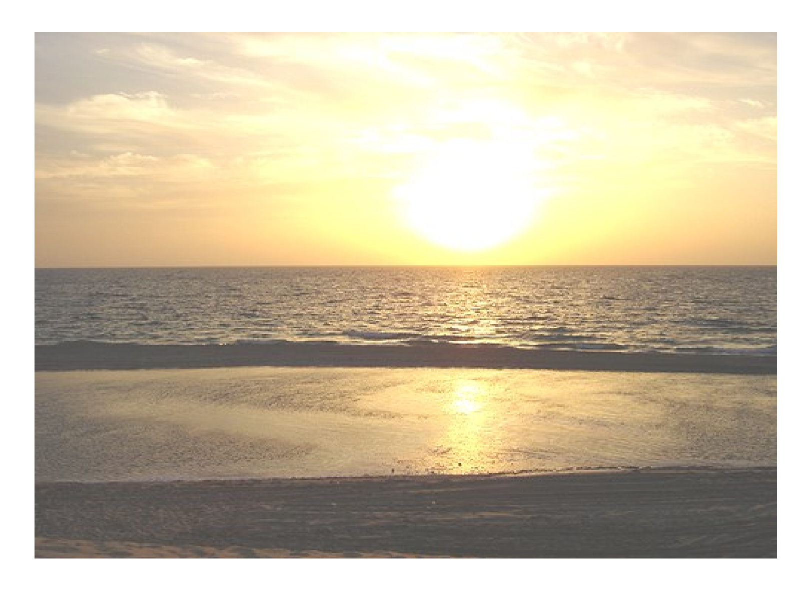
مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ

إهداء:

إلى زوجتي العزيزة
منى محمد محيي الدّين
أهدي هذه المجموعة الشّعريّة

وقد سبق أن أهديتها في زمن الخطبة
ديوان أبي القاسم الشّابي: أغاني الحياة،
مع أبيات زيّنت بها الغلاف،
وأُحبُّ هنا أن أُثبِتَها:

أبياتُ شعرٍ في الورى سائرهْ   تخطُــرُ في أثوابِهــا الــثَّائِرَهْ
وفي غــدٍ أبيــاتُ شعْري تُـرى   مطبوعــةً في حُلَّـــةٍ زاهـــرهْ
أكتُـــبُ في أوَّلِ صــفْحاتِها   إهــدائيَ المحفــورَ في الــذَّاكِرهْ:
هــذي ترانيمــيَ قــدْ صُـغتُها   تحـــيَّةَ الـــشَّاعرِ للـــشَّاعِرَهْ



بسم الله الرحمن الرحيم

هذه المجموعة.....

هي قصائد تحكي تقلُّباتٍ نفسيّةً، مررْتُ بها خلال أعوامٍ ماضية، بحثًا عن الذّات. وبدأت هذه التقلُّباتُ بمرحلةٍ من السّويداء الّتي حلّت على القلْب، كما يحلُّ الضّبابُ الأسودُ على الحقل، فيحولُ دونَ رؤيةِ السّنابل الذّهبيّة. هذه المرحلة أعطيتُها اسم «التّخبُّط في الظّلمات».

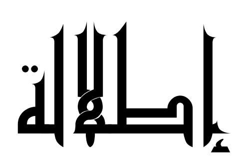
ثمّ بدأ الفؤاد يستشعر مرارة السّويداء، ويتنفَّسُ الصّعداء، وهو يتلمّس شيئًا فشيئًا حقيقة الحياة، الّتي لا تعجز أن تجد فيها البسمة. بدأ الفؤاد يبصر نور الأمل، بصيصًا يومئ إليه من بعيد. هذه المرحلة أعطيتُها اسم «الحنين إلى النّور».

ولـمّا أدرك الفؤاد أنّ هذا النّورَ له وجوده في الحياة، حان وقت المسير إليه، إلى فيض الأمل، وانتعاش البهجة، ورونق الكون. فكان لا بدّ من وقفة عتاب مع الذّات، تقرأ الماضي الكئيب، الّذي يصرّ على أن يلاحق بأطيافه المزعجة نفسي الضّعيفة. لكنّ هذه النّفس كانت تصرّ على الرّحيل، والتفلُّت من عبء السّنين المشحونة بالزّفرات والأنين. هذه المرحلة هي مرحلة «الرّحلة باتّجاه النّور»، ولا بدّ فيها أن تعترض الطّريق أشواك جمَّة. إنّه «معبر الآلام».

ووصلت نفسي إلى شاطئ الأمان، غير مبالية بأمواج القلق، الّتي تكسّرت على أخشابها، وانتشى القلب، حين غمره النّور، لأوّل مرّة، دون أكدار. ها هو الأمل يبسط جناحيه عليه. إنّه «شاطئ النّور»، المرحلة الأخيرة في مسيرة هذا القلبِ المنهَك.

هذه الرّحلة الشّاقّة من جزيرة اليأس القاحلة، حيث تعشِّش الغربان، إلى شاطئ الأمان، حيث تحلّق أسراب النّورس، هذه الرّحلة مسطورة بدقائقها، في ثنايا الحروف والكلمات، وما زال جزء كبيرٌ مكنونًا في خفايا الصّدر، لا لشيء إلّا أنّ اللّسان عجز عن فهم كلّ لواعج الصّدر!

أيمن


إطلالة

بين الذكريات

خلْـفَ جُـدرانِ الأسـى شـاكٍ حـزينْ
يـذرفُ الـدّمعَ علـى ماضـي السّـنينْ

يذْكُـرُ الأمْـسَ، فيشْتـدُّ الحنيـنْ
ويُزيـلُ الصَّمْـتَ أصْـداءُ الأنيـنْ

***

في ظـلامِ اللّيـلِ لا يحْلـو الرُّقـادْ
لجريـحٍ جُرْحُـهُ مـسَّ الفـؤادْ

عبثـًا حـاوَلَ أنْ يلْقـى المُـرادْ
ثـمّ لمّـا كابَـدَ الأشْـواقَ... عـادْ

***

أيُّهـا القلْـبُ الّـذي قاسـى العـذابْ
مـا الّـذي ترجـوهُ مِـنْ طُـولِ الغيـابْ

تكْتـمُ الوَجْـدَ، وتُخفـي الاكتئـابْ
كُـفَّ عـنْ هـذا، فمـا أحلـى الإيـابْ!

***

ذكريـاتٌ باقيـاتٌ فـي الخيـالْ
وأمـانٍ لسْـتُ أدري: أتُنـالْ؟

أمْ تراهـا أصبحـتْ قيْـدَ المُحـالْ
شُـرِّدَتْ وارتحلَـتْ خلْـفَ الجبـالْ

القسم الأول:

التخبط

في الظلمات

دموع وأوراق

هـــذي دُموعـــي لامســـتْ أوراقـــي
فـــي ظُلْمـــةٍ نفَـــذَتْ إلـــى أعماقـــي

وأنـــا وحيـــدٌ مُطـــرِقٌ متأمِّـــلٌ
والهَـــمُّ أصْبَـــحَ مُوشِـــكَ الإطبـــاقِ

وهـواجِسُ الصَّـمْتِ الكئيـبِ تُحيطُ بـي
والنَّفْـــسُ واجمـــةٌ مـــنَ الإخْفـــاقِ

والقلـبُ- آخـرَ مؤْنِـسٍ لـي- قـد نـأى
لمّـــا أتـــاحَ لـــهُ الزّمـــانُ فِراقـــي

يـــا ليتـــهُ أفنـــى بـــذاكَ مشاعـــري
فأُسَـــرَّ بعْـــدَ الـــرِّقِّ بالإعتـــاقِ

***

وا حسرتـــاه... أهكـــذا ضـــاقَ الرَّجـــا
وتمـــادَتِ الآلامُ فـــي إحْراقـــي؟

هـــلْ تُطفـــئُ النِّيـــرانَ بعـــدَ توقُّـــدٍ
قطـــراتُ دمـــعٍ غـــادرَتْ أحداقـــي

وتحـدّرَتْ... خطَّـتْ علـى الأوراقِ مِـنْ
مـــاءِ العيـــونِ سطـــورَ وَجْـــدٍ بـــاقِ؟

في غَمْـرةِ الأحـزانِ تضـطربُ الـرّؤى
ويظـــلُّ يَحْدوهـــا رجـــاءُ تـــلاقِ

عبثـًا أحـــاوِلُ أنْ أُكتِّـــمَ حســـرةً
عملـتْ علـى سحْقـي بـلا إشفـاقِ

مسَّـــتْ هـــدوءَ اللَّيْـلِ فـي سكناتِـهِ،
نَـــدِيَ الأنيـــنُ وزادَ فـــي إقلاقـــي

أوجسْـــتُ منـــهُ خِيفـــةً، فتآلفَـــتْ
كـــلُّ المخـــاوِفِ كـــي تشـــدَّ وِثاقـــي

وإذا الأنيـــنُ جـــوارحٌ مكبـــوتةٌ
ثـــارَتْ علـــى الأغـــلالِ والأطْـــواقِ

همسَـــتْ فأيقظَـتِ السُّكـونَ بهمْسِـها:
«يـا قلـبُ عُـدْ، مـا للمعـذَّبِ واقِ»

حُلُـــمٌ يتيـــمٌ قـــد تمـــرَّغَ بالثَّـــرى
فـــي بحْثِـــهِ عـــنْ مُنتهـــى الأنْفـــاقِ

سُـــدَّتْ علـــيَّ مسالكـــي إلّا الّتـــي
أدّى المسيـــرُ بهـــا إلـــى إرهاقـــي

***

طـالَ ارتقـابي الفجْـرَ، هـلْ هـوَ ممعِـنٌ
فـــي النَّـــأْيِ عنّـــي، ضـــنَّ بالإشـــراقِ؟

هـــلْ ســـاءَهُ بوحـــي بكـــلِّ لواعجـــي
للَّيـــلِ، وهْـــوَ يَخيـــبُ فـــي إنطاقـــي؟

أيـــنَ المَـــلاذُ، وكـــلُّ شـــيءٍ حالِـــكٌ
والدَّمـــعُ مسكـــوبٌ علـــى أوراقـــي؟

تتماثـلُ الألـوانُ وَهْمـًا فـي الدُّجـى
وكـــذاكَ أيّامـــي علـــى الإطـــلاق!

لا أستطيع

لا أستطيعُ، فكلُّ ما بي صارَ يهتفُ: لنْ أُطيعْ
أصبحْتُ مسلوبَ الإرادةِ، يا لَخوفي أنْ أَضيعْ

إنْ شئتَ يا قلْبي، فحدِّثْ من تراهُ بما أُريدْ
لنْ يُدرِكوا فحْوى الحديثِ، وقدْرَهُ، مهما أُعيدْ

بلغَ الذُّهولُ أشدَّهُ، فوأَدْتُ في النَّفسِ الحنينْ
ومعالمُ الأيّامِ تهزأُ بي، وتضحكُ كلَّ حينْ

إنّي كئيبٌ، أيُّ شيءٍ يُسْعِدُ القلْبَ الكئيبْ؟
بل أيُّ شيءٍ يمنعُ الشَّمسَ السَّقيمةَ أنْ تذوبْ؟

مزَّقتُ أسمالَ الكلامِ، وساءَني الثَّوبُ الأنيقْ
فتمزَّقتْ منّي الضُّلوعُ، وصار فكري بي يَضيقْ

أحرقْتُ منزليَ الوضيعَ، وملَّني القصرُ المُنيفْ
واشتدَّ برْدُ اللّيلِ حولي، فارتمَيْتُ على الرَّصيفْ

إنْ شئْتَ يا قلبي، فحدِّثْ، باتَ لا يُجدي الحديثْ
فلَكمْ صرخْتُ وبَحَّ صوتي، ثمَّ مُتُّ، ولا مُغيثْ!

تنسابُ أطيافُ ابتساماتٍ على ثغْرٍ جريحْ
وتُريدُ أنْ تبقى، وأشباحُ المَلامةِ لا تُتيحْ

لا أستطيعُ، قواربُ الإنقاذِ يخرقُها الهديرْ
ويداي أُرْهِقتا من التَّجديفِ في البحْرِ الكبيرْ

خبريني يا نفس

خبِّريني، يا نفسُ، حلَّ السُّكونُ ... ونضـا سِتْـرَ وجْهِـهِ المجْنـونُ

خبِّريني، عسى جوابُكِ يَشفـي ... أُمنِيـاتٍ يرنـو إليهـا المَنـونُ

أنـا في غُرفَـةِ السُّهـادِ، وقُربـي ... يرقدُ النَّومُ، وهْوَ مثلي سجينُ

أتناسى الهمومَ، في غيرِ جدْوى ... فهْيَ لي بالولاءِ باتتْ تَدين

خبِّرينـي، يـا نفـسُ، أيُّ رداءٍ ... يرْتديهِ الإنسانُ، وهْوَ دفينُ؟

كلّما طافَ في ربى البالِ صُبْحٌ ... مسَّهُ من يدِ الجَمالِ جُنونُ

فانْتَشـى، ثـمَّ طارَدَتْـهُ اللّيالـي ... فلها في كلِّ العُيونِ عُيونُ

خبِّريني، يـا نفـسُ، ولْتَعِظيني ... فأنا الآنَ جاهلٌ من أكونُ؟

ليسَ لي أنْ أَعودَ أو أتخطّى ... قَيْدَ مُستقْبَلي الّذي سيَحينُ

وعيونـي إذا أرادتْ رُقـادًا ... خالَفَتْها، وقاوَمَتْها الجُفونُ

سأم

سأمٌ مريرٌ في قرارةِ ذاتي ... وتأوُّهٌ أُخفيهِ بالبسَماتِ
قلقٌ وأحلامٌ يُحطِّمُها الأسى ... وتقلُّبٌ في مَضْجَعِ الأمْواتِ
أنا في دروبٍ تِهْتُ حينَ تشابكتْ ... فوقفْتُ، لا أدري سبيلَ نجاتي
لا شيءَ في الأُفُقِ البعيدِ يكونُ لي ... أملًا، فأُهرَعَ مُسرِعَ الخُطُواتِ

***

أنذا أُصرِّفُ مُقلتي فيما مضى ... فيلوحُ لي مُتجهِّمَ القَسَماتِ
مُتخبِّطٌ في ظُلمةٍ لا تنتهي ... مُترنِّحٌ من شِدَّةِ اللَّطَماتِ
ما إنْ يغرِّدُ في فؤادي بلبلٌ ... حتّى يُغادِرَ مِنْ صدى الآهاتِ
ما بي سوى الآلامِ مزَّقَتِ القُوى ... وترصَّدَتْ لي خشيةَ الإفْلاتِ
أنّى أصيحُ لنزْعِ بعضِ كآبَتي ... والصَّوتُ مُختنِقٌ منَ العبَراتِ؟
أوّاهُ! يا لي مِنْ شريدٍ تائِهٍ ... وَسْطَ الصَّحارى ينْشُدُ الواحاتِ
ولطالما خلْفَ السَّرابِ تجِدُّ بي ... قدمايَ، ثمَّ أُفيقُ بعدَ فوَاتِ!

***

تبًّا لأوهامٍ عبثْنَ براحتي ... وجعلْنَني أمشي على الجمَراتِ
خُدِعَتْ بها نفْسي، فطالَ عذابُها ... واستسْلَمَتْ لِقَساوَةِ الطَّعَناتِ
ولَئِنْ طَوَيْتُ الأَمْسَ، هلْ بيَ قدْرةٌ ... فأُعيدَ للأَشْلاءِ بعضَ حياةِ؟
تتساقطُ الأوراقُ مِنْ أغصانِها ... فتَدوسُها الأقدامُ في الطُّرُقاتِ

المجهول

صـــــوتُ المجهـــــولِ يُنـــــاديني
مـــــنْ خلــــفِ الغـــــيمِ المكْنـــــونِ
ونـــــداءٌ في الغـــــدِ يـــــدعوني
بحـــــرارةِ صَـــــبٍّ مَفتـــــونِ
بينـــــا أمضـــــي كـــــالمجْنون!

***

تلْهـــــو الكلمـــــاتُ بآمـــــالي
وتُبـــــدِّدُ رغبـــــةَ أوصـــــالي
تتعمَّـــــدُ دومًـــــا إهمـــــالي
في إعـــــراضٍ أو إقْبـــــالِ
فمضـــــيْتُ أُجـــــرِّرُ أغْـــــلالي

***

خلَجـــــاتُ القلْـــــبِ المرْجـــــومِ
ســـــئِمَتْ مـــــن صـــــدّي المزْعـــــومِ
نفَـــــرَتْ مـــــن قـــــولٍ مسْـــــؤُومِ
وتخَطَّـــــتْ بعْـــــضَ المرْســـــومِ
ارفـــــقْ يـــــا قلْـــــبُ بمظلـــــوم

***

أتلفَّـــــتُ، كـــــلُّ الأرْجـــــاءِ

نقلـــــتْ أصـــــواتَ الأَصـــــداءِ

أتلفَّـــــتُ خـــــوفَ الأرزاءِ

فـــــأرى أشـــــباحَ الظَّلْمـــــاءِ

يفْـــــتكْنَ بـــــاقي الأحيـــــاءِ

***

الرُّعْـــــبُ ألمَّ بتفْكـــــيري

فوقفْـــــتُ وأعْيـــــا تـــــدْبيري

ورأَيْـــــتُ بصيصًـــــا مـــــن نـــــورِ

فعجِبْـــــتُ وأخطـــــأَ تفســـــيري

فاشـــــتدَّ ظـــــلامُ الـــــدَّيْجورِ

***

صـــــرخَ المجهـــــولُ لإرهـــــابي

ومضـــــى يعْـــــدو في أعْقـــــابي

فجَرَيْـــــتُ، وخـــــارَتْ أعصـــــابي

ونظـــــرتُ إليـــــهِ بإســـــهابِ

فارتـــــدَّ... وعـــــادَ إلى الغـــــابِ!

القسم الثاني:
الحنين إلى النور

بعيدًا... سأبقى!

بعيدًا سأبقى... لا أُناجي سوى ظِلّي وأنظُـرُ مشـدوهًا إلـى نجمـةِ اللَّيـلِ
وعينـــيَ تنهاهـــا المهابـــةُ كلّمـــا بـــدا النُّـــورُ وهّاجـــًا، وآذنَ بالقتْـــلِ
تمنّيْـتُ لـو لمْ تبْـدُ فـي الأُفْـقِ نجمـةٌ ولا هتفـتْ فِي داخلـي "ثـورةُ الـذُّلِّ"
أُعاتِـبُ نفْسـي، وهْـيَ مِثلـي ملومـةٌ فتُعـرِضُ عـنّي، ثُمّ تغفِـرُ لـي جهْلـي
بعيـــدًا سأبقـــي، فاقترابـــي يُميتُنـــي إذا لمْ أَجِـدْ سـدًّا يقينـي مـن السَّيْـلِ

***

أُفـتِّشُ عـن كـوخٍ حقيـرٍ يضمُّنـي لأنـزِلَ فيـه، كلّمـا جمحـتْ خيلـي
هنالـك أدري مـا السّكينـةُ للـرُّؤى فتُملي على نفْسي الكسيرةِ ما تُملي
تعِبْـتُ مـنَ السَّـيْرِ الحثيـثِ، وهـا أنـا أُحـاوِلُ أن أخطـوْ إليـه علـى مهْـلِ
ولكنّنـــي أدنـــو وينـــأى، كأنّمـــا مصـيريَ أن أبقـى بعيـدًا عـن الأهـلِ
أُفتِّـــشُ عـــن كـــوخٍ أُعيـــدُ طِـــلاءَه وأسـكنُ فيـهِ قُـرْبَ مـن سكنُـوا قبْلـي

***

حُدودُ الـدُّجى تمتـدُّ فـي كـلِّ ساعـةٍ ولكنَّ جَوْفَ القَبْرِ قدْ ضاقَ من حولِي!

الظّمأ الرّهيب

تمهَّـــــلْ أيُّهـــا الظَّمـــأُ الرَّهيـــبُ ورُدَّ إليَّ نفْسًــــــا لا تطيـــــــبُ
ســفكْتَ دمـــي، وقلْــتَ: تــأمَّلوه فمــادتْ تحــتَ رجلــيَّ الــدُّروبُ
خُـدِعْتُ وظلَّـتِ الأوْصـالُ عطشـى وبـاتَ الفجْـرُ عـن نظـري يَغيـبُ

***

تمهَّـلْ... قـد فككْـتَ قيـودَ جُرْحـي فجُـــــنَّ ولا أراهُ يســــــتجيبُ
إلى أيـــنَ المســـيرُ، وأنـــتَ قـــربي، تُحــاذرُ أنْ يُحـــالِفَني الهـــروبُ؟
وكيــفَ أفِــرُّ منــكَ وأنــتَ تجــري ويُبصِـرُ كفَّـكَ الـدّامي الرَّقيـبُ؟
مصـيري! كيـفَ أدري مـا مصـيري غـدًا... واليـومُ آخـرُهُ غريـبُ؟؟!

***

عــــذابي في الحيــــاةِ تســــاؤلاتٌ تُــراوِدُني ولــيسَ لهــا مُجيــبُ
ولكـــنَّ العــذابَ يكــونُ أقســى إذا أدركْـتُ: مـا تُخفـي الغُيـوبُ؟
فكُــفَّ يــديكَ يومًــا، وأْنْــأَ عــنّي لأهْنــأَ... أيُّهــا الظّمــأُ الرّهيــبُ

حوار بين " نسيم الصّبح "، و" زمهرير اللّيل "

... بين التّفاؤل والتّشاؤم!

زمهرير اللّيل:

يـا للمعـذَّبِ مـن هـمٍّ وأحـزانِ يرجـو الهنـاءَ فيلقـى كـلَّ بُهتـانِ

أرادَ في طلـبِ الـدُّنيا سـعادَتَهُ فخـابَ مسْـعاهُ فيهـا، دون حُسْـبانِ

وآبَ يبحـثُ عـن بعـضِ الهنـاءِ، فلـمْ ينـلْ مـن البحْـثِ إلّا شـرَّ خِـذلانِ

نسيم الصّبح:

أقِـلَّ حزنًـا ولا تَرضَـخْ لنائبـةٍ وجـدِّدِ العـزْمَ في إعـلانِ عِصـيانِ

واثبُتْ على الدَّربِ إنْ طالتْ مسيرتُهُ، دعِ الأسـى وتجنَّـبْ أيَّ إذعـانِ

زمهرير اللّيل:

أنـا المعـذَّبُ في دُنيـا تُصـارِعُني حـتّى تُجنْـدلَني في كُـلِّ مِيـدانِ

فكيـفَ يُرجـى اتِّـقائي هـولَ قبضـتِها وطيـفُ آلامِهـا مـن مَضـجعي دانِ

نسيم الصّبح:

بـل إنّهـا الخـيرُ، حـدِّقْ في مباهجِهـا وغُـضَّ طَرْفَـكَ عـن سـوءٍ وحِرْمـانِ

فـإنَّ لحظـةَ ضِـحْكٍ لـو حفَلْـتَ بهـا تُنسـيكَ آلامَ أيّـامٍ وأزمـانِ

زمهرير اللّيل:

جنـايتي أنّـني أدركْـتُ مـا عجَـزَتْ ... عـنْ فَهْمِـهِ أنفـسٌ ترضـى بعنـوانِ

جنـايتي أنّـني لمْ أرْضَ منْزلـةً ... بِيعَـتْ بـأبْخسِ أعمـالٍ وأثمـانِ

إذا أردْتُ لذيـذَ العـيشِ غـرَّمَني ... جُـلَّ الأضـاحي أُؤَدِّيهـا لأوْثـانِ!

نسيم الصّبح:

هـيَ الحيـاةُ شـقاءٌ لسْـتُ أُنكـرُهُ ... ولَـذّةُ العـيشِ أنْ تسـعى بإيمـانِ

مـا فضـلُ مـن سارَ فيهـا، لوْ أُتيحَ لـهُ ... ألّا يُعـذَّبَ في تشـييدِ بُنيـانِ؟!

ألا تـرى ورْدةً والشَّـوكُ يغمُرُهـا؟ ... ألـيسَ يُغريـكَ منهـا سِـحْرُ ألـوانِ؟

ألا تـرى الشَّـمسَ رغـمَ الغـيمِ مشـرقةً؟ ... ألا تـرى نَبْـعَ مـاءٍ بـينَ كُثبـانِ؟

لم يمنـعِ الـذِّئبَ يومًـا عـن فريسـتِهِ ... وجودُهـا خلـفَ سُـورٍ بـينَ رُعيـانِ

زمهرير اللّيل:

عرَفْـتُ مأسـاةَ عُمْـري حـينَ مزَّقَهـا ... بـينَ الأمـاني الّـتي ماجَـتْ بِيَ، اثنـانِ:

قلـبٌ لـديَّ ضـعيفٌ غـرَّهُ أَمـلٌ ... حـتّى أُصـيبَ ولمْ يَظْفَـرْ بِنِسـيانِ

وفِكـرةٌ سـاورَتني، وهْـيَ هادئـةٌ ... حـتّى دَنَـوْتُ فصـارَتْ وَهْـجَ نـيرانِ

نسيم الصّبح:

أنـتَ الـمَلومُ، تُريـدُ العـيشَ في دَعـةٍ ... بـلْ أنْ تُشـيِّدَ قصْـرًا دونَ أركـانِ!

أفِـقْ، فـإنْ هـيَ إلّا لَوعـةٌ عرَضَـتْ ... إنْ شِـئْتَ نالـكَ منهـا شِـبْهُ إدمـانِ

وإنْ أردتَ حيـاةً كُلُّهـا أمـلٌ ... فشُـقَّ دربَـكَ فيهـا.. جِـدَّ جَـذلانِ

ابتسم

اِبتسِمْ، هل نسِيتَ ما الابتِسامُ فأضاعتْ سرورَكَ الأيّامُ؟
تتلوّى والأمْسُ مرَّ وولّى وانزوى حيثُ تهْدأُ الآلامُ
واستفاقَ البهاءُ بعدَ رُقادٍ كدَّرَتْ من صفائِه الأوهامُ
فتأمَّلْ تقلُّبَ الدّهرِ، وانظرْ هل لشيءٍ، إذا استمرَّ، دوامُ؟

***

لا يعي سرَّ الدّاءِ مَن فرَّ منهُ وإذا فرَّ، عينُهُ لا تنامُ
فادْنُ، مزِّقْ سِتْرَ الغموضِ، وإلّا فتلمَّسْ رُؤاكَ حيثُ الظَّلامُ!
عُدْ وبدِّدْ كآبةَ اللَّيلِ، واسألْ رغبةَ النّفسِ عنْ عُيونٍ تُضامُ
كُفَّ عن ذَرْفِ الدّمعِ، فكِّرْ مليًّا: هل بهٰذي الدّموعِ جدوى تُرامُ!؟

***

خِلْتَ أنَّ اعتزالَكَ النّاسَ يُنسي ورصدْتَ الجدارَ، وهْوَ يُقامُ
ثُمَّ لـمّا وُجِدْتَ فيهِ سجينًا عُدْتَ تشكو، وقد براكَ الهُيام!
قدْ رأتْ مُقلتاكَ أطيافَ ضوءٍ فتوهّمتَ أنّها أحلامُ
ليسَ في ما رأيْتَ أحلامُ صَبٍّ إنّه الفكرُ، زالَ عنهُ الرَّغامُ
إنْ يكُنْ ضوءًا خافتًا، فلديهِ وُئِدَ اللَّيلُ، وانتشى الإلهامُ

***

كُفَّ عن ذرفِ الدّمْعِ، وٱثأرْ لعمْرٍ لم تكنْ تدري فيه: ما الابتسامُ!؟

فراغ في الصّورة

بيــدَيكَ تَزهــو الرِّيشــةُ السّــمراءُ ... وتُــداعِبُ الأوراقَ كيــفَ تشــاءُ
تلْهــو بمــاءِ الطَّيــفِ في ألوانِــهِ ... لتَصــوغَهُ صُــوَرًا لهــا إيــماءُ
منذُ القديمِ، وأنتَ تَدْفِنُ في الضُّحى ... أســرارَ روحٍ دأبُهــا الإغضــاءُ
تُفْـني حواسَّـكَ في الـتُّرابِ الـمُنزوي ... ليمـوتَ سـرُّك أنـتَ، والإفشـاءُ!
فـإذا الفـراغُ يعـيشُ فيـكَ مُرنِّـمًا ... فتَلَــذُّ مــن ترنيمِــهِ، وتُســاءُ

***

منــذُ القــديمِ، وهــذه الصُّــورُ الّــتي ... تَفْــتَنُّ في تــدْبيجِها، جوفــاءُ
وتَغيــبُ عنهــا لــمْسةُ السِّــحْرِ الّــتي ... قــدْ خِلْــتَ أنَّ وجودَهــا غُلْــواءُ
مــاذا دهــاكَ؟ ألسْــتَ تَشْــعرُ مــرّةً ... أنَّ الّــذي تزهــو بــهِ، أعبــاءُ؟
مــا أنــتَ والنّــارُ الّــتي تلْهــو بهــا ... إلّا كــوردٍ قــدْ جفــاهُ المــاءُ

تأمّلات

مــتى تتْــرُكُ الأفكــارُ حُــبَّ التّأمُّــلِ
فتهْـــدأَ في ليـــلٍ طويـــلٍ مُطـــوَّلِ؟

مـتى؟ إنّ جُرحـي بـاتَ يَـرْفُضُ طـاعتي
فقـدْ ضـاقَ ذَرْعًـا بعْـدَ طُـولِ تحمُّـلِ

تمادَيْــتُ في إحــراقِ كــلِّ جــوارِحي
فأمْسَــتْ يبــابًا لا تُهــادِنُ مــأْمَلي

وأغْفَلْـتُ قُـرْبَ النّـارِ بعـضَ رغـائبي
فلمّـا دنَـتْ منهـا، صـرخْتُ: تمهَّلـي!

أتلْــتهمُ النّــيرانُ عزمــي، فــلا أرى،
وقــد خمَــدَتْ، إلّا ضـريحًا أُعِـدَّ لي؟!

***

دروبيَ إنْ ضــاقتْ سأســلُكُ غيرَهــا
فهأنـــذا أصـــبحتُ غـــيرَ مُكبَّـــلِ

أنــا الآنَ ســاجٍ، والخريــفُ يعــودني
ويجثـو بقــربي مُمْعنًــا في التّوسُّــلِ

ألا يـا خريـفَ العُمْـرِ جئْـتَ مُبكِّـرًا
فمـا زِلْـتُ شـابًّا رغْـمَ ثـوبي الـمُهلْهَلِ

وإنْ كنـــتُ آنسْـــتُ المقـــامَ بربـــوةٍ
فما الذَّنبُ ذنبي... إنّما البحْرُ مُهمِلي

إذا شئْتُ أنْ ألقى الشّواطئَ في الدُّجى
تحجَّــرَ فيهــا المــاءُ قبْــلَ تــوغُّلي

***

فمعــذرةً... قــد فــاتَ وقــتُ زيــارتي
وأغلقْـــتُ أبـــوابي اتِّـــقاءَ الـــتَّطفُّلِ

فـإنْ شئتَ فارحـلْ يـا خريـفُ مُحـاذِرًا
لـئلّا يــراكَ النّــاسُ تــدخُلُ منــزلي

وإلّا تمـــدَّدْ ههنـــا قـــربَ مَوْقِـــدي
لنسْـــمَعَ مـــا يُمليـــهِ فـــيضُ التَّأمُّـــلِ

القسم الثالث:

الرحلة باتجاه النور

معبر الآلام

عاشق الأوهام

عاشـــقَ الأوهـــامِ لا تنْـــصِتْ إلى صـــوتِ الغـــديرْ
إنّـــــه ينســــــابُ رَقْـــــراقًا إذا فــــاحَ العبــــــيرْ
وغــــدتْ أمواهُــــــهُ تبْــــــسمُ لِلبـــــدرِ الـــــمُنيرْ
إنّــــــهُ يهْمِــــــسُ لا يَسْــــــمعُهُ إلّا الأثــــــيرْ
أو شـــــريدٌ خــــالفَ الـــدَّرْبَ وأعيــــاهُ الـــمَسيرْ

***

عاشـــقَ الأوهـــامِ، أثوابُـــكَ ليسَــــتْ مـــن حريـــرْ
وفِـــراشُ اللَّيــــلِ، إنْ ذُقْـــتَ الكـــرى، غـــيرُ وثـــيرْ
فانتَبِــــهْ، إنّـــك جــــاثٍ حيــــثُ ينهـــارُ الشَّـــفيرْ
هــــذهِ نفسُــــكَ لا تُـــــدرِكُ أبعــــادَ المصــــيرْ
انتبـــهْ، فالنّــــارُ لا تـــرْحَمُ مـــن يَهـــوى السَّـــعيرْ

الرّحيل

بَــينَ أهـــدابِ عيـــونٍ لا تُبـــالي تَرقُــدُ الدّمعــةُ خَجلــى مــن سُــؤالي

تَـــرفُضُ البَـــوْحَ بمـــا ينـــتابُها ثمّ تُخفـــي الوَجْـــدَ عـــنّي وتُغـــالي

أوَتُخفـــي بعـــضَ مـــا أفشـــيتُهُ يـومَ كانـتْ بسـمتي تُرضـي اختيـالي؟

***

بَــينَ دربَــينِ: قــديمٍ قــد عفــا وجديـــدٍ خلْـــفَ كُثبـــانِ الرِّمـــالِ

تجلِــسُ الــنّفْسُ وتَلهــو بــالثّرى وهْــيَ لا تَعلــمُ: مــا يَشــغَلُ بــالي؟

أنــذا أرحــلُ، لا تــدري يــدي: مــا الــذي تحمِــلُ مــن زادٍ ومــالِ؟

والمســـافاتُ تعـــدَّتْ قُـــدرتي فتراخيـــتُ وألقيـــتُ رِحـــالي!

***

وإذا بـــــالقُرْبِ مـــــنّي وردةٌ أبصـــرَتْني فتـــوارَتْ في الظِّـــلالِ!

قُلْــتُ: يــا وردةُ، مــاذا قــد أتــى بـكِ، والشّـمسُ استقرَّتْ في الأعـالي؟

تــتركين المــاءَ، وهْــوَ الــمُلْتقى، وتُقيمـــينَ هنـــا بـــينَ الجبـــالِ!

أنــتِ يــا وردةُ مِثلــي فــاخرُجي فكِلانـــا راغـــبٌ في الارتحـــالِ

***

لمْ تُجِــبْ، لكــنَّ روحــي سمِعَــتْ هَمْســةَ العِطْــرِ تُنــادي في خيــالي

ومضـــى يـــومٌ، ودوَّتْ صـــرخةٌ خــافَ مِــنْ رجفتِهــا بعــضُ الـتِّلالِ

فعرَفْـــتُ المـــوتَ في أصـــدائِها: وردةٌ قــد ســئِمَتْ زَيــفَ الجَمــالِ

ظَمِئــتْ، والمــاءُ مشــغوفٌ بهــا ثمّ غابـــتْ في متاهـــاتِ الـــزَّوالِ

تبحـــثُ الكَفَّـــانِ عـــن آثارِهـــا وتَعـــودانِ بـــلا أيِّ مَنـــالِ!

اِختَفـتْ، والعـينُ مـا زالـتْ تـرى طيفَهـــا الخافِـــتَ يمـــتصُّ اللَّيـــالي

كيـفَ تَـذوي؟ مـا الَّـذي حـلَّ بهـا؟ فتلاشـــتْ دونَ أن ترثـــي لِحـــالي

***

هـــــلْ تبقّـــــى ليَ إلّا دمعـــــةٌ حاوَلَـــتْ إذلالَ جُرحـــي بســـؤالي:

«أيكـــونُ الـــوَردُ سِـــحرًا خادعًـــا يُـوهِمُ الـنَّفْسَ بتحقيـقِ الـمُحالِ؟»

قلـــتُ: «لا، فـــالوردُ مخـــدوعٌ بنـــا، أوَلـيسَ الـمُشتهى في كـلِّ بـالِ؟»

«وإذا مــــا غـــــابَ عنّـــــا وَهْجُـــــهُ مرَّغتْـــــهُ بالـــــثَّرى كـــــلُّ النِّـــــعالِ»

«فارقـــدي يـــا دمعـــتي في مُقلـــةٍ أبصـــرَتْ أشـــواقَها بـــينَ النِّصـــالِ»

«ولْنَسِـــرْ، إنَّ رحيلـــي غـــامِضٌ، لَسْـتُ أدري بعـدُ: مـا يغـدو مـآلي؟»

***

أنـــذا أرْحـــلُ، لا تـــدري يـــدي: مـا الّـذي أُخفيـه في تلـكَ الرِّحـالِ!

عبء السّنين

كفى أيُّها الأمسُ المُخَضَّبُ بالدَّمِ فلسْتُ إلى ما فيكَ أَرنو وأَنْتمي
كفى، دعْ فؤادي يُبْصرِ الصّبح مَرَّةً لِيعْلَمَ ما في فيئِهِ مِنْ تنعُّمِ

***

إلى أينَ يا عبْءَ السِّنينَ تقودُني وتجْعلُني أَرضى بنَبْذِ التَّبسُّمِ؟
أَتطلُبُ منّي أنْ أسيرَ بلا هدًى على مَعبَرِ الآلامِ، دونَ تألُّمِ؟!
ترامى على البَيْداءِ ظِلّي، فأجْدَبَتْ وأصبحَتِ الأطيافُ تأتي وترْتمي
سأمضي وأجتازُ الفيافي بلَهْفةٍ وأنسى ضلالاتِ انتظارٍ مخيِّمِ
وكُلُّ الخيالاتِ الّتي قد رأيتُها ستغدو شعاعًا للغدِ المترنِّمِ

***

كفى أيُّها الأمسُ الْمُخادِعُ، إنّني تناسَيتُ ما قد فاتَ دونَ تندُّمِ
وأَنكَرْتُ آلامي الّتي لِعويلِها مضيْتُ أُناجي الوَهْمَ في كُلِّ مَعْلَمِ
تُلاحِقُني يا أمسُ في كُلِّ منزلٍ وتسألُ عنّي مَن تراهُ مُكلِّمي
رُويدَك، إنّي قد ملَلْتُ هُويّتي فلا أنْتَ مثوًى لي، ولا أنت مُلْهِمي
فدعنيَ، لا تَتْبَعْ خُطايَ، فلنْ ترى على الرَّمْلِ آثارًا لأقْدامِ مُجْرِمِ

رحلة في الماء بحثاً عن الماء

ألا ترى أنّني كالطِّفْلِ في كُرةٍ ... مِنَ الزُّجاجِ أصابَتْ صَفْحةَ الماءِ

يَلْهو الرّذاذُ على جُدرانِها جَذِلًا ... وداخِلي ظَمَأٌ قد فَتَّ أعضائي

أرنو إلى الماءِ مشغوفًا ومُضطرِبًا ... والنَّارُ تعْبَثُ، عنْ قَصْدٍ، بأَشلائي

أأَكسرُ الكُرةَ الجَوفاءَ في غضبٍ ... فأستكينَ، ولكنْ... بعدَ إفنائي؟

ألا يكونُ ارتوائي دونما ثَمَنٍ ... أقلُّ ما فيه تهديدٌ بإنهائي؟

والماءُ أيْسَرُ ما أرجوهُ في سَفَرٍ ... على شواردِ أمواجٍ وأنواءِ

النَّارُ تصْرُخُ في جوفي... أيُسْكتُها ... ماءٌ يَلوحُ، فيدنو، وهْوَ كالنَّائي!؟

***

سيري على عَجَلٍ بالطِّفْلِ في كُرةٍ ... يا لُجَّةَ الموجِ، كي يَحْظى بإرساءِ

لعلَّهُ يبْلُغُ البَرَّ البعيدَ غدًا ... قبْلَ المَماتِ، وفَتْكِ الماءِ بالرَّائي

هناك، إنْ حطَّمتْ كفّاهُ منزِلَهُ ... نالَ ارتواءً، ولو مِنْ بعضِ أنداء

وإنْ تَمَنَّعَ نالَ الطِّفْلُ راحَتَهُ ... بالموت، مبتعِدًا عن... نَقْمةِ الماءِ!

الموج

أَنصَــــتَ المــــوجُ للشِّـــــراعِ فــــدعْني   أتــــرُكِ البحْــــرَ، اليــــومَ، دون تـــأنِّ
خَفَتَـــتْ ضــــجَّةُ الغُيــــومِ، وبَـــحَّتْ   صــــرَخاتُ الأمـــــواهِ تنْفِــــرُ مــــنِّي
أنصَـــتَ المـــوجُ، والحَـــديثُ طويـــلٌ   فــــاقَ مــــا صــــوَّرَتْهُ أبعــــادُ ظــــنِّي
هــا هــو البحــرُ هــادئٌ بعــدَ ليــلٍ   لمْ يـــــدعْ للشِّـــــراعِ لحظـــــةَ أمْـــــنِ
أتــــرُكُ البحْــــرَ في رضًـــا واغتبـــاطٍ   رغــــمَ مــــا فيــــهِ مِــــنْ بهــــاءٍ وحُسْــــنِ

****

أنــا وحــدي، ونسْــمةُ الفجْــرِ تــأْتي   فــــتراني وتصْـــــرِفُ العـــــينَ عـــــنّي
فــانتَظرْتُ الصَّـــباحَ حــتّى تــوارى   وانتظــــارُ الرَّجــــاءِ قــــاسٍ ومُضْـــــنِ
يـــا لهـــا بسْـــمةً أتَـــتْ تتهـــادى   إذْ حبــــــاني، ومــــــدَّني بــــــالعَوْنِ!

****

أتَخَــــالُ البُكــــاءَ أدنى ســــبيلٍ؟   أتخــــالُ العويــــلَ أجمــــلَ لحْــــنِ؟
هكــذا أنــتَ! حيثمــا كُنْــتَ تجْــري   دون أن تــدري: مــا الّذي سوفَ تَجْني؟
كُنــتَ تجْــري، وكــانَ مَثْــواكَ يزهــو   فــــاغرًا فــــاهُ، والغُــــرابُ يُغَــــنِّي!

****

لسْـتُ أدري: أبـاتَ يُرضـي طُمـوحي   أنّـــــني أســــتطيعُ إغــــلاقَ عيــــني؟

حدثَ... قبل الفجر

قطـــراتُ النَّـــدى تســـيلُ وتجـــري   في هــــدوءِ الظَّـــلامِ، قبـــلَ الفَجْـــرِ

***

هــا هــي الآنَ تلمِــسُ العُشْــبَ، تبكــي   كرضــــيعٍ يمــــتصُّ قِطعــــةَ جَمْــــرِ!
أبكــــاءً علــــى فِـــراقِ غُيـــومٍ   طرَدَتْهـــــا لتنْـــــزوي في القَـــــبْرِ؟
اسـكبي الـدَّمعَ قـدْرَ مـا شِـئْتِ، وابكـي   في سُـــكونِ الظَّـــلامِ أو في الجَهْـــرِ
فلعـــلَّ الـــدُّموعَ يُولَـــدُ منهـــا   قطـــرةٌ تُنشِـــئينَها في القَفْـــرِ
مــن صُــراخِ الصَّــمتِ الّــذي أنــتِ فيــهِ   يـــنهضُ المـــوتُ فـــاغرًا كـــلَّ ثَغْـــرِ
فاهْـــدَئي، إنّ في الأنـــينِ ريـــاءً   وارقُـــدي، دونَ ضـــجَّةٍ، لا تَفِـــرّي

***

وإذا بالنَّـــدى يـــذوبُ ويغـــدو   ظلمـــةً تســـتغيثُ بي، دونَ غـــيري!
قلْــتُ: يــا قطْــرتي، لقــد كنــتِ مــاءً   وتغـــيَّرتِ دونَ لمســـةِ سِـــحْرِ
إنّـــكِ الآنَ قِطعـــةٌ مـــن ظـــلامٍ   مسَّـــها إنســـانٌ بلوثـــةِ فِكْـــرِ
ألهـــذا بكيـــتِ؟ مـــا كُنْـــتُ أدري!   فاعـــذريني، إنْ كـــانَ يَصـــلُحُ عُـــذري
وارفضـــي ذلـــكَ «الهُـــدوءَ»، وقُـــومي   مِـــن «رُقـــادٍ»، لذَّاتُـــهُ لا تُغـــري
وامســـحي دَمعـــةَ الكئيـــبِ، لتنْـــأى   ظُلمـــةُ الثَّـــوبِ، وانهضـــي للسَّـــيْرِ

***

.... قطــراتُ النَّــدى تعــودُ وتســري   لبُلـــوغِ السَّـــماءِ، قبـــلَ الفَجْـــرِ!

القسم الرابع:
شاطئ النور

لا يأس مع الحياة

أنــارَتْ مســيري في الحيــاةِ العــزائِمُ ... فخُضْتُ بها الأهْوالَ، واللّيْلُ قاتِمُ

ولم أشْكُ للأيـّامِ ما كانَ حلَّ بي ... فتحسِبَ أنّي ناقمٌ متشائِمُ

أرتْني اللّيالي أنّ بعْدَ ظلامِها ... عظيمَ انبلاجٍ، وهْوَ، لا شكَّ، قادمُ

ففي حرْقةِ البلْوى، وفي غمْرة الدُّجى ... تَهُبُّ النّفوسُ الكادحاتُ تقاوِمُ

وفيهنَّ شوقٌ للضُّحى متوهِّجًا ... تلوحُ لهُ وسْطَ الضَّبابِ معالِمُ

وحيثُ رأيْتَ اللّيلَ يُسْدِلُ سِتْرَهُ ... فمن ههنا تمضي اللُّيوثُ الضّراغمُ

ومن عُمْقِ أرواحٍ تئنُّ جريحةً ... تدبُّ، وترويها الدِّماءُ، عزائمُ

وفي مُقَلٍ أجرى الزّمانُ دُموعَها ... أسًى، نظراتٌ مُرَّةٌ، وعزائِمُ

***

إذا أدركَتْ نفْسُ الفتى مَبْلَغَ العلى ... تقلَّبَ من جرّائه، وهْوَ نائمُ

وأصْبَحَ عنْ حُلْوِ الرُّقادِ بمَعْزِلٍ ... يُصارِعُهُ موجُ الدُّجى المُتلاطِمُ

فلا اليأْسُ يرْجو أنْ يحطِّمَ بأْسَهُ ... ولا الخَوْفُ يَثْنيهِ، ولا هُوَ واجِمُ

كذا تقْتَضي منّا الحياةُ، فإنّها ... تُعظِّمُ من ينسى الأسى ويُزاحِمُ

***

وما الطِّيبُ إلّا من ورودٍ تفتَّحَتْ ... فما تنْشُرُ الطِّيبَ الشَّذيَّ البراعمُ

ولا تفْقَهُ العيشَ النُّفوسُ فتيَّةً ... ولا تدْفَعُ الغيمَ الكثيفَ النَّسائمُ

هباءٌ حياةُ المرْءِ إنْ هيَ لمْ تكُنْ ... جهادًا، به للمَجْدِ تُرْسى دعائمُ

أضيئي طريقي

أيـــا بَسْـــمةَ الآمـــالِ خلـــفَ الغيـــومِ أَضـــيئي سمـــائي واهزَئـــي بالـــنُّجومِ

***

لقـد كنْـتُ قـربَ النـَّهرِ أعبـثُ بالحصـى وأطرحُهـــا في المـــاءِ بـــينَ الرُّســـومِ
فأُصـــغي إلى سِـــحْرِ الـــرَّنينِ مـــداعِبًا فـــؤادي بـــأبهى مـــن رقيـــقِ الـــنّسيمِ
وعنـــدَ هـــدوءِ المـــاءِ يلـــثِمُ مَسْـــمَعي أناشـــيدُ طـــيرٍ في حـــديثٍ رخـــيمِ
فتســـبحُ نفســـي في ضـــياءٍ ورَوْنَـــقٍ وتختـــالُ في فيحـــاءِ هـــذا الـــنّعيمِ
وأنســـى كِيـــاني ههنـــا، ثمّ أرتمـــي علـــى صـــفَحاتِ العشْـــبِ غـــيرَ مَلـــومِ

***

... إذا بظـــلامِ اللَّيـــلِ يُـــوقِظُ نشـــوتي ويُلقـــي علـــى قلـــبي ســـتارَ الهُمـــومِ
أراهُ علـــــى كرســـــيِّهِ متربِّعًـــــا يُشـــيرُ وينهـــى، كـــالأميرِ العظـــيمِ
فقلْـــتُ لـــهُ: ليسَـــتْ لـــمِثْلِكَ سُـــلْطةٌ علـــيَّ، فقلْـــبي اليـــومَ غـــيرُ سَـــقيمِ
ويـــا بســـمةَ الآمـــالِ لا تـــتردَّدي أضـــيئي سمـــائي، واهزئـــي بالـــنُّجومِ

***

أضـيئي سمـائي، طـالَ مـا قـد تكـدَّرَتْ ومـــرَّتْ بهـــا غِربـــانُ عَهْـــدٍ قـــديمِ
ودوّى نعيـــقٌ يَصْـــدعُ الـــرَّأْسَ هولُـــهُ كأنـــيَّ أُســـقى مِـــن نقيـــعِ السُّـــمومِ
أضـــيئي سمـــائي، لا أُريـــدُ كآبـــةً ســـأحترقُ الأيَّـــامَ دونَ وُجـــومِ
ســأبقى هنــا، في الــرَّوضِ، يــنعَمُ نــاظِري بمـــرآى فراشـــاتٍ، وأُنـــسِ نَـــديمِ
تُقبِّـــلُ أقـــدامي الـــزُّهورُ، ووردةٌ لهـــا مِـــن سَـــنا الألـــوانِ أبهـــى الـــرُّسومِ

***

أيـــا نَسْـــمَةَ الإيمـــانِ، لا تـــتردّدي أضـــيئي طريقـــي، واهزئـــي بـــالغُيومِ

من الظلمات إلى النور

هتفَـــتْ بنفْســـي رهْبـــةُ الأسْـــرارِ: «أُكتُمْ حـديثي، وامضِ في الأسْحارِ»

«واقصِــدْ جبــالَ الــشَّرْقِ، دونَ تــردُّدٍ وارْقَ الـصُّخورَ إلى الــذُّرى، بنهــارِ»

«فلقـد علِمْـتُ بـأنَّ مـن بلـغَ الـذُّرى قبْــلَ المغيــبِ، نجــا مـــن الأوزارِ»

«فشُـعاعُ تِلْـكَ الـشَّمْسِ يمْحـو إثْمَـهُ ويبـــثُّ فيـــهِ معاقِـــدَ الأنْـــوارِ»

«ويُعيــدُ فيــهِ روْنَــقَ العُمُــرِ الّــذي أفْنـــاهُ في الأوصـــابِ والأسْـــفارِ»

«أُكــتُمْ حــديثي، وامــضِ دونَ تــردُّدٍ وحذارِ مِنْ غضَبِ الصُّخورِ، حذارِ»

***

... كتِفـي يـئِنُّ مـن الحقيبـةِ والأسـى، ويـــدايَ دامِيتـــانِ مـــن إصـــراري

أرقـى الـصُّخورَ، علـى هـوانيَ، حافيًـا ونِصـــالُها مسْـــنونةُ الأشْـــفارِ

وعلـــى الـــطَّريقِ عقـــاربٌ مسْـــعورةٌ تفْــتنُّ في لسْــعِ الجــريحِ الــسَّاري

أرقـى الـصُّخورَ، وللـضَّبابِ سـحائبٌ ســـوداءُ يضْـــرِبُ لونُهـــا أبصـــاري

... عجَبًــا! أراني كُــلَّما زِدْتُ الخُطـى سمَـتِ الـذُّرى، ونـأتْ عـنِ الأنْظـارِ

أتـــفِرُّ منـــّي في ارتفـــاعٍ دائـــمٍ والـشَّمسُ في صَـبَبٍ سـريعٍ جـارِ!؟؟

كتِفـــي يـــئِنُّ، يصـــيحُ بي مســـتنْجدًا (قـــد أثقَلتْـــهُ حمولـــةٌ) مـــن نـــارِ

فنـــزَعْتُ مِـــن كتِفـــي الحقيبـــةَ غاضِـــبًا ورميْـــتُها خلْفـــي مـــعَ الأمْطـــارِ

فتـــناثرَتْ منْهـــا شـــظايا مُهْجـــتي وفـــؤاديَ المغْمـــوسِ بالأقْـــذارِ

وإذا بأشـــباحِ الـــضَّبابِ تمزَّقَـــتْ والـــذَّرْوةُ الـــشَّمّاءُ قَيْـــدُ إســـاري!

فتبســـَّمَتْ لي الـــشَّمْسُ قبـــلَ رُقادِهـــا وغفَـتْ.... فقـامَ الـنُّورُ مـن أغْـواري

***

.... واليـوْمَ، أفْشيْتُ الحديثَ لسامِعي لِيَعيْـــهِ.... عُـــذْرًا، رهْبَـــةَ الأسْـــرارِ

أقوى من الضعف!

أقــوى مـــن الضَّــعْفِ والآهــاتِ والألَمِ ... فزمْجُــري يــا ريــاحَ اللَّيْــلِ وابتســمي

حطَّمْــتُ أغــلالَ أيــّامي الّــتي ســلَفَتْ ... وكنــتُ أحمِلُهــا، مــن قبــلُ، في ســأَمِ

اليـــومَ أدفِـــنُ ضَـــعْفي دونَمــا كَفَـــنٍ ... في بَلْقَـــعٍ مُمْطَـــرٍ بالشَّـــوكِ والـــرِّمَمِ

أقــوى مــن الغضــبِ المكبــوتِ، أُرغِمُــهُ ... علــى الفنــاءِ، فيــذوي، شــرَّ مُنهَــزِمِ

قتلْــتُ طَيْــفَ عــذابي قبــلَ قُدرتِــهِ ... علـــى اقتيـــادي إلى دُوَّامـــةِ النَّـــدمِ

وكــم سمعْــتُ صُــراخَ المجْــدِ يلطِمُــني ... فقُمْتُ من سِنَتي، أُصغي إلى الكَلِمِ:

***

قفْ واسألِ النَّفْسَ: أيُّ الدَّربِ تسلُكُهُ؟ ... يــا ســاريًا في مَتاهــاتٍ مــن الظُّلَــمِ

أتُبصِـــرُ الـــنُّورَ وضّـــاءً فتشـــتُمَهُ ... وتنعَــتَ الظُّلُمــاتِ السُّــودَ بــالكَرَمِ؟

وتَلـــبَسُ الخِـــرَقَ الغـــبراءَ باليـــةً ... وحُلَّــةُ العيــدِ في أمــنٍ، وفي هــرَمِ!؟

لا.. أيّهــا الــثَّمِلُ الــنَّشوانُ في نُــزُلٍ ... جــدارهُ يتــداعى مــن أســى القِــدَمِ

لا.. أيّهــا الــنَّاسِكُ المعــزولُ في جبَــلٍ ... يكــادُ ينْــدكُّ، والأحجــارُ كــالحمَمِ

لا.. أيّهــا الــطَّيْرُ، لا تَحْجَــلْ بأجنحــةٍ ... تنجــو بهــا، فتُبــاهي ذُرْوَةَ القِمَــمِ

***

حلِّــقْ، وغــرِّدْ، وقُــلْ للــنَّاسِ في طَــرَبٍ: ... اَلْيَـــومَ أُولَـــدُ طِفـــلًا راسِـــخَ القَـــدَمِ

أقـوى مِـنَ الـرَّجُلِ الفـاني الـذِّي دُفِنَـتْ ... أشــلاؤُهُ تحــتَ أمــواجٍ مــن الــتُّهَمِ

أقـــوى مـــن الـــنَّدَمِ المـــذهولِ تابعُـــهُ ... أقـوى مـن الـضَّعْفِ والآهـاتِ والألَمِ

فزمجـــري يـــا ريـــاحَ اللَّيـــلِ واقـــتَربي ... فإنــّي، أنــا، ليــثٌ... غَــيرُ مُبتَسِــمِ!

صفحة جريدة

مزَّقْــتُ أوراقــيَ مــن دَفــتري
وقُلْـتُ للـنّارِ: خُـذي واثـأري

بـالأمسِ، كـم حاولْـتِ إحراقَهـا
ثمَّ تراجَعْــــتِ، ولمْ تجسُــــري

الآنَ، فلْـــــتُبدِّدي حِبْرَهـــــا
فقـد أُزيلَـتْ صُـوَرُ الأسْـطُرِ

والكلمــاتُ لازمَــتْ خِــدرَها
بعــدَ فَنــاءِ ثوبِهــا الأحمــرِ

***

يـا نـارُ، هـذي غَمَراتُ الـدُّجى
ألقيتُهـا عنـّي، فـلا تفْخَـري

مــا في كتابــاتي الّــتي مُزِّقَــتْ
إلّا خيــوطٌ شــوَّهَتْ مَنظَـري

يــا نــارُ لا تَنــتظري، أحرِقــي
أوراقــيَ الــسُّودَ الّــتي أزدري

***

لا... لــيسَ حقًّــا مــا توهَّمتِــه
فهــدِّئي رُوعَــك، ولْتصْــبِري

ظننْـتِ في الأوراقِ طيـفَ الهـوى
أو عبَثًــا مــن غــزَلٍ مُفــتَرِي

ظننْــــتِها آلامَ قلْــــبٍ بكــــى
من وَجْدِه، وخافَ أن تجهَري

لا... لــيسَ حقًّــا مــا توهَّمتِــه
مـا كـانَ تـرنيمُ الهـوى مُسْـهِري

لكــــنَّها ســــفينةٌ أبحــــرَتْ
قيـلَ لهـا: إنَّـكِ لـن تُبحِـري

تبحــثُ عــن مرسًــى لهـا هـادئٍ
بعــدَ اجْــتيازِ ظُلْمــةِ الــمَعْبَرِ

وكنــــتُ لا أَعْلَـــمُ في حينِهــــا
أينَ يكـونُ في الـدُّنى مَهْجري؟

وانتهَــتِ اليــومَ هنــا رحلَــتي
وصِـرْتُ قـرْبَ الجبـلِ الأخضـرِ

أرهَـفَ سَمْعـي لحـديثِ الهُـدى
في طـرَفٍ مـن ليلـيَ المُقْـمِرِ

فلْتــــرحلي، ســــفينتي، إنَّــــني
بــاقٍ هنــا، أعبَــثُ بــالأَنْهُرِ

***

يــا نــارُ، أحرِقــي، ولا تَــهْدَئي
لي، ولِكُــلِّ مُهــتَدٍ، فاثْــأَري

مزَّقْــــتُ أوراقـــــيَ لكــــنَّني
أبقيــتُ أقلامــيَ في دفــتري

الفهرس





نبذة عن الشاعر:

- أيمن أحمد رؤوف القادري
- من قرية البيرة في قضاء راشيا- البقاع
- مقيم حالياً في دوحة عرمون
- حائز على الدكتوراه في اللغة العربية

للتواصل:

٠٣/٧٧٦٧٩٢ ٠٥/٨٠٧٢٠٣

aymankadri@gmail.com

ayman_kadri@yahoo.com

ay_k@gawab.com